علو الهمة

إن الْحَمْدُ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أن لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأن مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

علو الهمة

ابتداءً:علينا جميعًا أن نعلم أننا في سباق،وأن الأوقات تضيع من بين أيدينا بلا فائدة،وإذا ما ركن الإنسان للراحة والكسل والتثاقل إلى الأرض فإنه سيفقد كل خير،فالكسل آفة خطيرة، تؤدي إلى ضياع الخير كله.

◘يقول ابن الجوزي: لا يطمعن البطَّال في منازل الأبطال،إن لذة الراحة لا تتناول بالراحة، من زرع حصد ومن جد وجد،فالراحة والدَّعة والركون إلى الدنيا يُفقد العبد أعظم الخيرات.

وعلى الإنسان أن يعي أنه جاء الدنيا لغاية مُعينة،فيضع هذه الغاية نُصب عينيه حتى لا يحيد عنها يمينًا أو يسارًا.

ثم قال:

فأي مطلوبٍ يُنال من غير مشقة؟

وأي مرغوب لم تبعد على مؤثره الشقة ؟

المال لا يحصل إلا بالتعب، والعلم لا يُدرك إلا بالنصب،واسم الجواد لا يناله بخيل،ولقب الشجاع بعد تعب طويل.

فمن غير الممكن أن ينال الإنسان شيئًا بدون مشقة ولو كان أمرًا من أمور الدنيا بل لابد من بذل الجهد إلى أن يحصُل عليه،فالمال والعلم والمنزلة الرفيعة بين الناس(كالشجاعة_الكرم) لن يُنال كل ذلك إلا بالتعب.

مثال:

عندما يُقال عن إنسان أنه كريم هل هذا اللقب أُطلِق عليه أو اكتسبه بسهولة؟

بالفعل لا ... ولكنه بذل وأنفق وقدم وساعد المسلمين وقام بأشياء كثيرة جدًا حتى يُقال هذا عنه،ولو أنه لم يفعل ذلك لما قيل ..

فأي لقب أو صفة مدح أو منزلة يتحصَّل عليها العبد لابد أن يكون قد قدم في سبيلها الكثير، وقياسًا على ذلك كل شيء في الدنيا،وبالتالي فإنه ينبغي على كل عاقل أن يُفكر في هذه المسألة، فلن يصل إلى أي شيء إلا بتعب، ويستوي في ذلك أمر الدنيا وأمر الآخرة.

_وأمر الدنيا مُجرب: فالطالب كي ينجح ويحصُل على درجات مُرتفعةومكانة عالية لابد أن يكون قد ذاكر كثيرًا وبذل الوقت والجهد والضغط النفسي، وفي آخر الأمر ينال شهادة دنيوية أيًا كانت.

قال العلماء: فلو كان يُتصور للآدمي صعود السماوات، لرأيت من أقبح النقائص رضاه بالأرض،ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد،رأيت المُقصِّر في تحصيلها في حضيض.

وهذا يعني: أننا لو افترضنا جدلًا، أن شخصًا ما لو بذل الجهد المُضني فإنه يمكن أن يكون نبيًا(هذا محض افتراض، لأن الأمر مستحيل) وجاءته هذه الفرصة ولكنه أخلد إلى الأرض ولم يسع إلى نيلها فماذا سيُقال عليه؟

قطعًا يُقال :أنه مجنون، فمن أقبح النقائص أن يكون أمام العبد منزلة عالية يمكن أن ينالها بالاجتهاد ثم يترك الاجتهاد ويُضِيع هذه المنزلة العالية.

قيل للعتَّابي: فلان بعيد الهمة،فقال:إذًا ليس له غاية دون الجنة.

العتَّابي من السلف الصالح قيل له أن شخصًا لديه همة عالية جدًا فهو يعمل كذا وكذا ويبذُل نفسه (وقتًا وجهدًا ومالًا) من أجل الآخرة، فقال:

هذا الرجل وصل إلى الجنة..

لقد ربط الجنة بعلو الهمة وهذا هو ما يحتاجه المسلمون..

ولكن ما المقصود بعلو الهمة؟

الهِمَّة: ما هُمَّ به من أمر ليُفْعَل،وقيل الهُمَامُ:الملك العظيم الهِمَّةِ

◘قال ابن الكمال الهمة هي: قوة راسخة في النفس،طالبة لمعالي الأمور، هاربة من خسائسها...

فمن أين للإنسان أن يعلم أنه عالي الهمَّة؟

قال:(قوة راسخة في النفس):فيكون بداخل الإنسان قوة،وهذه القوة جعلت صاحبها يشرئب لينظر إلى معالي الأمور،فهي لا ترضى بالأرض (تطلعاته عالية فهو لا يرضى بالدونية).

هاربة من خسائسها:فأي شيء خسيس دنيء يمكن أن يُسْقِط صاحبه على الأرض فإنه ينبغي له الابتعاد عنه.

كان شيخ الإسلام ابن تيميةفي آخر حياته يقول:

(إلى الآن لم أُصحح إسلامي)

مَن القائل لهذه العبارة ؟

ومتى قالها؟

شيخ الإسلام هو القائل،وقالها في نهاية حياته بعد أن اجتهد وبذل الكثير وصنَّف من المُصنفات الكثير،وأنقذ الأمة،لقد قام مقام جيشًا بأكمله من العلماء في العلم والعمل والبذل والنُصح للدين والعطاء لله،ويكفيه شرفًا وفخرًا ورضًا من الله أن بحر علمه إلى الآن لم ينضب بل أن القاصي والداني يستقي منه فهو مبارك وسيظل هكذا إلى قيام الساعة بإذن الله، رجل لم يعرف

التاريخ مثله،بالفعل هناك من العلماء الكثير ولكن هذا الرجل حارب أهل البِدع والأهواء وصنَّف في ذلك المُصنفات،ومع هذا فهو ينظر إلى نفسه على أنه لم يُصحح إسلامه ومازال أمامه الكثير الذي يجب عليه فعله.

هذا نموذج لأصحاب الهِمم العالية، الذين يريدون أن يكونوا أصحاب مكانة في الآخرة،هذه هي آمالهم ومقاصدهم وأحوالهم مع الله فهم لا يرضون أبًدا بالدون.

☜ قال بعض الحكماء:الهمة راية الجد .

الهمة تعني:أن يرفع الشخص راية شعارها الجد الجد والمسارعة في فعل الخيرات إلى أن يصل إلى ما يطمح في نيله من الدرجات العُلا،بالنظر في آيات القرآن نجد أنها تحُث على علو الهمة،والقرآن هو كلام الله وبالتالي فإن الله عز وجل يحُث عباده على أن يعلون بهمتهم:

إذن فإن الحث على علو الهمة جاء بأمر من الله سبحانه وليس اجتهاد من العلماء

قال تعالى:{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133)}[آل عمران]

_وسارعوا :أي من المُسارعة،فكيف تكون المسارعة؟؟

◘المسارعة أنواع:

1_المسارعة في الطاعات(تنفيذ الأوامر التي أمر الله بها)

2_المسارعة في القُربات

(التقرب إلى الله عز وجل بالنوافل والأشياء التي تُقرِب العبد من ربه)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"إِنَّ اللَّهَ قَالَ:مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ،وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ،وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ،فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ:كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ،وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ،وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا،وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا،وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ،وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ،وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ،يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ "

أخرجه البخاري(6502)

فيؤدي ما عليه من فروض الصلاة ثم يُتبعها بالنوافل،يُخرِج الزكاة ثُم يقوم ببذل الصدقات وهكذا لا يكتفي بما فُرِض عليه من أوامر بل أنه يُسارع في القيام بالنوافل ابتغاء التقرب من الله عز وجل.

3_المسارعة بندم يتجرع به الحسرات

شخص نادم على ما مرَّ من عمره ومُتحسر عليه وهذا الندم حمَلَ صاحبه على التوبة والاستغفار(هذا أيضًا نوع من المسارعة والإقبال على الله ولكنه في بداية الطريق)فهو مازال في وضع الندم حيث أنه أقلع عن الذنوب والمعاصي وشَعر بالعُمر الذي انقضى فهو يتحسَّر على ما فات،والتوبة والندم فيهما إرادة محو ما فات فصاحبهما يطمع في رحمة الله وعفوه عنه فيما اقترفه من معاصي وذنوب.

◘الشاهد:هو حث الآية على المسارعة.

◘بقدر السلعة يُقاس الأمر

أُمِرنا فيما يخص شأن الآخرة أن نُسارع{وسارعوا}،أما فيما يخُص أمر الدنيا فقد قال سبحانه:{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ(15)}[الملك]

◘يقول:فامشوا :والمشي يعني العَدو البطيء،أُمِر العباد أن يسعوا دون أن يلهثوا،فما لم يتحقق اليوم فسوف يتم إنجازه غدًا،وحتى لو لم يتحقق فليس هناك إشكال في ذلك.

قال سبحانه:فامشوا ولم يقل اجلسوا في أماكنكم لأن المشي وسيلة من وسائل الأخذ بالأسباب وقد أُمِر الناس بالأخذ بالأسباب (أسباب الدنيا_ أسباب الآخرة)، فامشوا أخذًا بالأسباب ولكن ببطء.

أما:سارعوا ففيها المسارعة،الكلمة توحي بأن هناك سباق..وقال أيضًا سبحانه:{سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (21)}[الحديد]

_فسارعوا وسابقوا:كلمات تحُث على وجوب المسارعة.

آيات الكتاب فرقت بين أمر الله للناس بالمسارعة والتسابُق في أمر الآخرة، وأمرهم بالمشي في الدنيا، ولكن تُرى ما هو حال الناس؟

حال الناس يسير على العكس فهم يتسابقون ويتسارعون على أمور الدنيا لا على الآخرة لأن الدنيا مُقدمة عندهم على الآخرة،وكان الواجب عليهم أن يتسارعوا ويتسابقوا ويتهيئوا لآخرتهم.

عَنْ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وأَشْرَافَهَا،وَيَكْرَهُ سَفَاسِفَهَا»

المعجم الكبير للطبراني(2894)

◘ابتداءً: لنا هنا وقفة

الله يُحب: الله عز وجل يُحب الأمور العالية، فحين يكون لدى الإنسان همة عالية وينشغل بالأمور العالية فيعمل في سبيل ذلك الأعمال الجميلة.

فإذا كان الله عز وجل يُحب هذه الأعمال فإنه سيُحب القائم بها، ومن منَّا يريد أكثر من حُب الله له؟

ليس هناك أعلى من ذلك، الله عز وجل ينظر إلى عبده نظرة مغفرة ورحمة إذا كان هذا العبد مُنشغل بأمر من الأمور العالية التي يُحبها الله سبحانه، والعكس عندما ينشغل بسفاسف الأمور فإن الله يكرهها(يبغضها).

◘سماحة الشريعة في انتقاء الكلمات

فمن سماحة الشريعة وجمال التعبيرات التي وردت في القرآن وفي السُنَّة أن يرد لفظ (كَرِهَ) ومع أنه بمعنى البُغض إلا أن التعبير جاء بكره، لقد قيلت هذه الكلمة دون غيرها رحمةً بالعباد حتى تنزل هينة نوعًا ما.

قال تعالى:

{ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (46)}[التوبة]

كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ:أَنِ اكْتُبْ إِلَيَّ بِشَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺيَقُولُ:

" إِنَّ اللهَّ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاَثًا: قِيلَ وَقَالَ،وَإِضَاعَةَ المَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ "أخرجه البخاري(1477)، أخرجه مسلم(593)

إن الله سبحانه ينظُر إلينا ويطلع على أحوالنا ويعلم كل شيء حتى ما تجول فيه الأذهان من التفاهات وسفاسف الأمور،وهذه أمور لا يُحبها الله وما خُلِقنا من أجلها، لم نُخلق من أجل الانتصار للنفس،ولا المنافسة على دنيا،وغير ذلك من أمور الدنيا التي لا عائد منها.

فما هي معالي الأمور التي يُحبها الله عز وجل؟

الأخلاق الشريفة:إن الله سبحانه يُحب كل خُلق شريف وكل خصلة حميدة، ولكن ليس معنى حُب المعالي(وعلو الهِمَّة) أن يطلب الشخص العلو في الأرض لأن العلو يُدخله في جزئية حُب العلو في الأرض والفساد والله سبحانه لا يُحب هذا.

أما المقصود فهو علو الهِمَّة بالنسبة للآخرة،وقد يعمل إنسان أعمال ويرى أنها من باب علو الهِمَّة ولا ينشغل بسفاسف الأمور(فيجتهد في حفظ القرآن_دراسة العلوم الشرعية) ثم يعلو بها على الناس،وهذا سقوط وليس علو،فهذا النوع يستحوذ على قلبه الشيطان لأنه لم يقرأ شيئًا عن أمراض القلوب...

بالفعل قد يكون حافظًا لكتاب الله أو دارسًا للعلم الشرعي ولكن يمكن أن يؤدي به هذا إلى حب العلو، فصاحبه يريد أن يكون أعلى ممن حوله،فقد كانت لديه قوة عزيمة وإرادة ونفس تشرئب وتنظر إلى معالي الأمور، استغل هذا الشخص هذه المقومات في البداية استغلالًا طيبًا فحمله هذا على حفظ القرآن وطلب العلم، فهل يتركه الشيطان؟ لا.... بل أنه يُحاول جذبه وإسقاطه من ناحية العلو على الآخرين(فهو يريد أن يكون الأعلى في حفظ القرآن_أو العلوم الشرعية)

_ولو أن الإنسان أدام التفكُر والتذكُر وحُسن الإدراك والفهم عن الله فإنه يكون بذلك قد تشبه بالمَلَائكة،فكلما كان العقل مُنشغل بالتفكير في أعالي الأمور فيكون ما بين التفكُر والتذكُر.

- فيتفكر: في مخلوقات الله وآياته الكونية وأسمائه وصفاته
- التذكُر: فيُذكِر نفسه لماذا جاء الدنيا؟

وبماذا سيُختم له؟

وأمور الآخرة؟

حُسن الإدراك والتصور والفهم عن الله سبحانه،كل هذه الأمور تؤدي إلى اقتراب صاحبها من الملائكة وتشبهه بهم لماذا؟

لأن الملائكة لا يشغلهم شيء سوى العبادة،فقد خلقهم الله لهذا فلا شهوة ولا سبب يدفعهم إلى ارتكاب المعاصي..

تُرَى ما هي منزلة هذا الإنسان عند الله عز وجل؟

والعكس فقد يُشابه الإنسان الحيوان البهيم؛فعقله مُنشغل باستمرار بالشهوات الدنيئة والملذات الفانية وأمور الدنيا الحقيرة، هذا النوع يُشابه الحيوان لأنه صرف همته إلى السفاسف ورذائل الأخلاق والتحق بالعالم البهيمي كما التحق النوع الأول بالعالم الملائكي.

◘إذن الناس على صنفين:

1_صنف دائمًا في حالة من العلو في الفكر وعلو الهمة والتفكر والتذكر فالتحق بعالم الملائكة فكأنه مع الملائكة.

2_صنف آخر لا يشغله إلا السفاسف والرذائل ولا يقوده إلا شهوات البهائم فتشبه بهم والتحق بعالمهم على اختلاف أصنافهم.

فمنهم مَن يظل في هذه الشهوات والدناءة حتى يصير كالكلب يلهث

قال تعالى:

{ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176)}[الأعراف]

مثل الرجل الذي يسير في الطريق ينظر لهذه ويلتفت لتلك ويتعرف على هذه وتربطه علاقة بهذه، فهذا حاله كحال الكلب إذا أُلقيَّ إليه أي شيء فإنه يلهث ورائه ويستوي عنده الأشياء حتى لو كانت قذرة.

هذا صنف من الرجال تكون لديه الزوجة الحلال وعصمه الله بها إلا أنه مثل الكلب ينظر للنساء ولا يغُض بصره.

◘هناك صنف آخر: وهذا كالخنزير، فقد انحطت همته إلى أن أوصلته إلى أن يكون في مرتبة الخنزير فليس لديه أي نوع من أنواع الغيرة (النخوة)وهو الحيوان الوحيد الذي إذا اقترب أحد من أُنثاه فإنه لا يكون له أي ردة فعل، هذا الأمر نراه اليوم عند الكثير من الرجال فيسير في الطريق وبجانبه زوجته وهي شبه عارية، يذهب بها لأداء زيارات ويكون الاختلاط أمر عادي بالنسبة له، فكيف لك يا مَن تدعي أنك رجل أن تسمح لزوجتك أن تلتقي بالرجال وتُسلم على قريب لك أو صديق.

_لقد نهى الله سبحانه النساء عن الضرب بالأرجل حتى لا يفتن الرجال فقال سبحانه:

{ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (31)} [النور]

بعض الرجال الآن يبحثون عن المرأة التي تخرج معه للمجتمع فتكلم هذا وتُسلم على هذا وإن لم تفعل ما يطلبه منها فإنهاتكون في نظره متخلفة ولا تليق به، هذا النوع دنيء الهِمَّة فقد تشبه بالخنزيروهو لا يعرف شيء عن النخوة، ألا يغار على زوجته وهي تجلس كاشفة عن وجهها ولا ترتدي الحجاب الشرعي مع أصحابه أو أقاربه من الرجال وتتبادل معهم أطراف الحديث وهم ينظرون إليها.

لقد كان من حال امرأة العزيز عندما أرادت إغواء يوسف عليه السلام أنها تزينت وقالت هيت لك: أي أنها تهيأت بهذه الهيئة من أجله هو،ولكن تُرى ماذا فعلت امرأة العزيز؟

لقد كشفت شعرها..

أما الناظر إلى ملابس النساء في وقتنا هذا فإنه يَعْجب لما يراه لأن الملابس تُظهِر أكثر مما تُخفي ومَن ترتديها تدعي أنها مسلمة ومُحجبة وتكتمل القصة بالزوج الذي يدعوها لتُسلم وتجلس لتتحدث مع أصحابه.

وهناك صنِفٌ ثالث: يتشبه بصفات النمر(الكبر_الغرور)،فقد ينشغل بسفاسف الأمور ودنو الهمة فيقع في صفات الكِبر كالنمر والطاووس لأنهما يتمتعان بالشكل الجميل، وفي الغالب نجد أن الجميلات يتصفن بصفة الغرور إلا مَن رحم الله لماذا؟ لأن الإنسان حين يملك شيء يُميزه عن الآخرين فإنه يغتر به إذا لم يكن لديه علم (الجمال_المال_الجاه).

إذن دنيء الهمة عندما تأتيه ميزه يتميز بها فإنه يغتر بها ويتعالى عن الآخرين هذا النوع يرى أنه تميز ولا يرى أن هذا فضل ونعمة من عند الله عز وجل

- وهناك صنف آخر فيه صفات الثعالب(الروغان)

هذا النوع يُراوغ،فحين نتحدث معه عن الطاعة يستجيب لفترة ثم ينسلخ منها، يحضر درس العلم وإذا سمع ما لا يُوافق هواه يتركه ويتحول إلى درس آخر، فيُراوغ ولا يرضى بالاستقامة على الأمر (هذا هو نوع من الناس قد انحطت همته).

- ومن الناس مَن جمع بين كل خصال الشر فأصبح كالشيطان

هذا الصنف اتصف بجميع الصفات(مغرور_ديُّوث _مُتعالي على الناس_يرُوغ روغ الثعالب_خائن) كل صفة دنيئة وضيعة توافرت فيه، وهذا الأخير يوجد منه الكثير في المجتمع من الرجال والنساء ولكن

ماهوالسبب في ذلك؟

لأنهم تركوا معالي الأمور ولم يكن لديهم علو همة على أمر الآخرة فجذبهم الشيطان إلى مصائده وأوقعهم في شِباكه فأنتج هذا الدنو في الهمة(الغرور_الكبر_العُجب_الدِّياثة_انعدام النخوة_انحطاط)وهذا هو المُتوقع طالما أن الإنسان غير عالي الهمة ولا يوجد له هدف يتمنى الوصول إليه .

وكما أن القرآن جاء فيه الحث على علو الهمة فقد جاء في السنة المُطهرة أيضًا الحث على ذلك..

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«المُؤْمِنُ الْقَوِيُّ،خَيْرٌوَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ،وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ،وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ،فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا،وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ،فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»

أخرجه مسلم(2664)

◘المؤمن القوي خير:أي فيه خير أكثر من الضعيف والمراد بالقوة هنا هي قوة العزيمة(عزيمة النفس_حب العلو في أمور الآخرة)صاحب هذا الوصف لا يرضى بالدنو ولكنه يحب معالي الأمور ويريد العلو،هذه الصفة هي سبب في حب الله سبحانه للعبد(وأحب إلى الله).

_أما المؤمن الضعيف فإنه يقوم بأعمال ولكنها لا تجعله في مرتبة القوي الذي يبحث عن معالي الأمور،بالفعل هو أيضًا فيه خير لنص الحديث على ذلك فهو مؤمن يقوم ببعض الأعمال،ولكن الأحب والأعلى والأقرب إلى الله(المؤمن القوي).

معرفة هذه المعاني والإلمام بها يحمل السامع على علو الهمة،فالأعمال ضعيفة والحال لا يليق بجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

◘احرص على ما ينفعك:

وعالي الهمة يتحمل المشاق في ذات الله،فهو أرغب في الصلاة والذكر والقرآن وفي كل عمل يُقرِبه إلى الله،كما أن صاحب علو الهمة دائمًا ما يحرص على ما ينفعه ويبتعد عن ما يضره.

ملابس غير مُستعملة لماذا تحتفظ بها وغيرك يحتاج إليها؟

كتب انتهيت من قراءتهافلماذا تبقى عندك وغيرك يمكن أن ينتفع بها؟

أموال صدقات تنوي إخراجها لماذا تتأخر في إخراجها والفقراء والمساكين في حاجة إليها؟

إذن لابد في كل عمل من الحرص عن البحث قبل البدء فيه عن مدى النفع العائد من وراء القيام بالعمل،تلك هي وصية النبي ﷺ(احرص على ما ينفعك)،فهل الشجار والخصام والمنافسة والمُنازعة على أمور الدنيا ينفع الإنسان؟

لن تنفع.... ولذلك فلا ينبغي الحرص عليها، وإذا كان أخذ الحق يستوجب الدخول في خصومة تؤدي إلى سواد القلب وانشغاله عن أمر الآخرة وتحول بينه وبين علو الهمة في الآخرة فينبغي ترك هذا الحق لأن صلاح القلب مُقدم على أي شيء ولو كان أخذ الحق.

وصية النبي ﷺ وصية غالية فكلماتها من نور وتحتاج إلى وقفة مع كل عمل يريد الإنسان أن يقوم به فيسأل نفسه هل هذا العمل سينفعه في أمرآخرته؟لابد أن يبحث الإنسان عن ما ينفعه في أمر آخرته ويكون حريصًا عليه وهذا هو هدف صاحب الهمة العالية.

◘ولا تعجز:أي لا تتكاسل عن طلب الطاعةبل تستعيذ بالله من العجز والكسل وقد كان النبي ﷺ يستعيذ من هذين الأمرين.

كَانَ النَّبِيُّ ﷺيَقُولُ:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ،وَالجُبْنِ وَالهَرَمِ،وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ،وَأَعُوذُبِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ»

أخرجه البخاري(2823) واللفظ له،أخرجه مسلم(2706)

_ وكذا طلب الاستعانة لأن طاعة من غير استعانة لن يتمكن العبد من أداءها، والاستعانة عبادة من عبوديات القلوب،فيطلب الإنسان العون من الله كي يمده بمدد من عنده فيُعينه على إعلاء همته .

◘ومن صور حث النبي ﷺ صحابته على علو الهمة:

أنه عندما بيَّن لهم الجنة ونعيمها أمرهم أن يسألوا الله الفردوس الأعلى منها

.....

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

"الْجَنَّةُ مِائَةُ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، الْفِرْدَوْسُ أَعْلَى دَرَجَةٍ، مِنْ فَوْقِهَا يَكُونُ الْفِرْدَوْسُ، مِنْهَا تَنْفَجِرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ الْأَرْبَعَةُ؛ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ الْجَنَّةَ فاسألوه الفردوس الأعلى"

المنتخب من مسند عبد بن حميد(182)

قال:أسألوه الفردوس من الجنة ولم يقل أسألوه دخول الجنة فحسب،لقد حث صحابته على علو الهمة لأن الفردوس لا يُنال بالتمني ولكن بالعمل والجهد والبذل.

قصة أبي بكر الصديق وكيف كان إنفاقه للمال؟؟

فقد أنفق ماله كله مُتوكلًا على الله في صورة من أجمل صور علو الهمة في الإنفاق، وقد أراد عمر أن يسبقه يومًا في ذلك فلم يستطع.

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ،عَنْ أَبِيهِ،قَالَ:سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ،رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ:"أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ،فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي،فَقُلْتُ:الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟»، قُلْتُ: مِثْلَهُ، قَالَ: وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟»قَالَ:أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ،قُلْتُ:لَا أُسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا"

سنن أبي داود(1678) [حكم الألباني] : حسن، سنن الترمذي(3675)

◘صور من علو همة الصحابة ومطالبهم العُليا:

حَدَّثَنِي رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ،قَالَ:كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي:«سَلْ»فَقُلْتُ:أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ.قَالَ:

«فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»

أخرجه مسلم(489)

كان ربيعة بن كعب بن الأسلمي أحد الصحابة، وكان يبيت عند النبي ﷺ فيقوم على خدمته ومن ضمن ذلك كان يأتيه بوضوئه، وفي يوم أحضر ربيعة الوضوء للنبي ﷺ:

(مَن عَلَّم الخلق حُسن الخُلُق والإحساس بالآخر إذا ما كان خادمًا أو شخصًا ممن يكون للغير يدًا عليه)

قال النبي ﷺله:(سل)،فقال ربيعة:أسألك مرافقتك في الجنة(هذا هو علو الهمة الذي وصل إلى عنان السماء)فلم يكن لدى القوم رغبات ولا شهوات في الدنيا بحيث تجعلهم حين تأتيهم الفرصة يطلبون الدُعاء بشيء من حاجاتها، وخاصةً أن الداعي هو النبي ﷺ.

تُرى لو أن هذه الفرصة أُتيحت لواحدٍ منَّا اليوم فسأله النبي ﷺ:

ماذا تريد؟

بالفعل سيطلب منه أن يدعو له بدخول الجنة ولكن إلى جانب ذلك فلا مانع من قائمة أدعية تتعلق بالدنيا.

فهل تدرون لماذا يُطلب هذا إلى جانب الدعاء بالجنة؟

لأن هناك اختلاط في العقل،فالإرادات والعقول ليست صافية، فتُطلب الجنة ولكن يقف إلى جانبها قائمة من أمور الدنيا.

_أما الصحابة فلم يكن عندهم هذا الخلط ...

فهل تعتقدون أن هذا الصحابي الذي يقوم بخدمة النبي ﷺلم يكن مُحتاجًا إلى المال؟
أو أنه كان خاليًا من المشاكل ؟
ومَن يَعِش في الدنيا من غير مشاكل أو احتياجات؟

ولكن هؤلاء سألوا بما تعلقت به القلوب والعقول وبما أنصبت عليه هِمَمُهُمْ..

◘فجاء التوجيه النبوي: "فأعني على نفسك بكثرة السجود"

لم يدع النبي ﷺ له مُباشرة ولكن عَلَمَ السائل أن يأخذ بالأسباب وأن الدعاء لن ينفع إذا لم يكن الشخص عابدًا لله،فقال له:فأعني على نفسك بكثرة السجود"وهو أول الأسباب لدخول الجنة(كثرة الصلاة) ففيها تحقيق العبودية لله عز وجل، لقد دَلَهُ النبيﷺعلى طريق الخير بالإضافة إلى دعائه له.

2_عكاشة بن محصن

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: لاَ رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ، فَذَكَرْتُهُ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ،حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ أُمَّتِي هَذِهِ؟قِيلَ: بَلْ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ،قِيلَ: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ،فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلَأُ الأُفُقَ،ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ،فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الأُفُقَ،قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ،وَيَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ" ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ،فَأَفَاضَ القَوْمُ، وَقَالُوا: نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللهِ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ،فَنَحْنُ هُمْ،أَوْ أَوْلاَدُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلاَمِ،فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الجَاهِلِيَّةِ،فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺفَخَرَجَ، فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فَقَالَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟ قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»

أخرجه البخاري(5705،5752) واللفظ له،أخرجه مسلم(218)

◘سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب:

يُبعثون فيدخلون الجنة بغير حساب

_ لا يسترقون: لا يطلبون الرقية اعتمادا كليًا على الله عز وجل.

_لا يتطيرون: لا يتشاءمون بالطيور.

_لا يكتوون: أي لا يتداوون بالكي.

_يتوكلون: يفوضون الأمر إليه تعالى وإن تعاطوا الأسباب

(أعلى مراتب الإيمان حسن التوكل على الله)

_سبقك بها:سبق إلى الفوز بتلك المنزلة إذ طلبها مندفعا وليس مقلدا.

وهذا هو فضل المُسارعة إلى الخيرات، فالجميع كان جالسًا في نفس المجلس ويسمعون لحديث رسول الله ﷺ ولكن كان عكاشة منتبهًا فسارع إلى طلب المنزلة فجاء رد النبي ﷺ عليه بأنه منهم، ثم ما لبث أن قام شخص آخر ليطلب نفس الطلب من النبي ﷺولكن انتهى الأمر،لقد كان الفرق بينهما لا يتجاوز الدقائق أو الثواني ولكن هذا الوقت اليسير أدى إلى أن أحدهما أصبح من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وأن الآخر هو من عوام المسلمين وأمره إلى الله.

أصناف الناس في علو الهمة

1_الناس في علو الهمة درجات فمنهم مَن يشعر من نفسه أنه صاحب همة عالية ويستطيع أن يقوم بأعمال عظيمة جدًا فوجه هذه الهمة العالية بأكملها في اتجاه الآخرة ولم يُرِد حظ دنيا مُطلقًا،هذا الشخص يُصنَّف بأنه عظيم الهمة عظيم النفس(أعلى الناس).

2_النوع الثاني: لديه علو همة كما أنه يمتلك الشروط التي تُؤهله للحصول على معالي الأمور(القوة_الذكاء)ولكنه يضعها في غير محلها من سفاسف الأمور وصغارها، وهذا الصنف يوجد منه الكثير.

◘مثال: أكثر رجال الأعمال ليسوا مُلتزمين،نعم يوجد رجال أعمال من الملتزمين ولكن الغالب على هذا الوسط أنهم ليسوا من المُلتزمين،هؤلاء منهم مَنْ تميز بالذكاء الحاد الذي يجعل مَن حوله يتعجب مما وصل إليه من إنجاز لمشاريع وأعمال وتحقيق ثروات طائلة ولا تتناسب مع سنوات عمره القليلة، هذا النوع لديه كما قلنا علو همة وقُدرات لو استخدمها على الوجه الصحيح لوصل بها إلى معالي الأمور ولكنه للأسف استغلها في أمور الدنيا الزائلة حتمًا.

لو يفطن أصحاب الأموال إلى أنهم لن يلبسوا إلا ثوبًا واحدًا عند خروجهم للناس،ولن يأكلوا إلا ثلاث وجبات ويمكن أن يمنعهم الأطباء من الأكل إذا أصيبوا بالمرض، وسينام الواحد منهم على سرير

لن يكون حجمه أكبر من متران طول ومتر عرض، وأما ما زاد على ذلك فهو مُجرد أحمال يحملونها على عواتقهم وعقولهم ويوم القيامة تكون أحمال عليهم أيضًا لأنهم سيُحاسبون عليها فمن أين جمعوها؟

وفيما أنفقوها؟

المقصود: أنه يمكن للإنسان أن يعمل ولكن عليه أن لايستنفذ كل همته في تحصيل أمور الدنيا لأن فاعل ذلك يكون قد خسر الآخرة يقينًا.

3_النوع الثالث: لديه همة ضعيفة ليس عنده قُدرة على القيام بالأعمال العظيمة ولذلك فهو لن ينال معالي الأمور،صاحب هذه الهمة يعرف من حال نفسه هذا وهو راضٍ عن نفسه بهذه الصورة، من الجيد أن يشعر هذا الصنف بقدره ولكن عليه أن يسعى،فالمهم أن يسعى ولو على قدر استطاعته فهذا خيرٌ له من أن يتوقف عن العمل.

4_النوع الرابع: ليس لديه همة ولا أية قُدرات على نيل معالي الأمور وبالرغم من ذلك نجده مغرور،أعمال في غاية الضعف وهمة في الحضيض ثم يطلب الفردوس الأعلى،فبأي شيء تطلب الجنة

وأنت على هذه الصورة؟

فإذا قيل أن هذا من باب حُسن الظن بالله ؟

الرد:قيل للحسن البصري أن هناك أقوام لا يعملون ولكنهم يُحسنون الظن بالله،فقال:كذبوا،لو أنهم أحسنوا الظن لأحسنوا العمل.

الكل يرجو رحمة الله ويخاف من عذابه ولن يدخل أحد الجنة بعمله ولكن لابد من العمل والهمة العالية.

مواصفات عالي الهِمَّة

1_لا ترضى همته ولا تنصب على الأمور الدنيئة

(الأكل_النكاح كالحيوان) عالي الهِمة يرفض أن يخضع لشهواته فهو يعرف أنه لم يأتي الدنيا لإشباع هذه الشهوات،فكل همه وانشغاله ينصب على مكارم الأخلاق ومعالي الأمورفلا يُقصِّر فيها أبدًا.

2_صاحب الهِمَّة العالية دائمًا يتحرى الفضائل

فهو يبحث عن أفضل الأعمال ليُشارك فيها، فكل عمل يجد فيه فضل فإنه يُسارع إلى تقديم المساعدة بأي صورة (مال_خدمات_أي شيء)،هذا

الشخص لا يُقدم المساعدة لكي ينال(الجاه_المال_ العلو على الآخرين) بل أن علو همته يتجه ناحية أمور الآخرة.

3_أنها نفس طوَّاقة

عمر بن عبد العزيز (خامس الخلفاء الراشدين)

لقد لُقِّب بهذا اللقب (تجاوزًا) نظرًا لقوة تشبهه بالخلفاء الأربعة في الأخلاق والعدل والورع والزهد والحيطة والحذر.

◘كان عمر بن عبد العزيز يقول:إن لي نفسًا تواقة،و ما حققت شيئًا إلا تاقت لما هو أعلى منه،تاقت نفسي إلى الزواج من ابنة عمي فاطمة بنت عبد الملك فتزوجتها،ثم تاقت نفسي إلى الإمارة فوليتها،وتاقت نفسي إلى الخلافة فنلتها،والآن تاقت نفسي إلى الجنة فأرجو أن أكون من أهلها، لقد كان لديه علو همه فما تاقت نفسه لنيل شيء إلا ناله وإذا ناله تاقت نفسه إلى ما هو أعلى وأفضل من سابقه،ولما نال الخلافة وهي أعلى منزلة ينالها الرجل في الدنيا تاقت نفسه إلى ما هو أعلى من أمور الدنيا فتعلقت بالآخرة،ولم تكن نفسه تتُوق إلى الخلافة لأنه يبحث عن الدنيا ولكنه أراد بها إقامة العدل بين الناس وكذا إقامة شرع الله والقيام على مصالح المسلمين.

لقد كان السلف الصالح يطلبون الخلافة لتحقيق العدل وحتى لا يُرى فقيرًا على الأرض، وليقوم برعاية الأرملة واليتيم،تلك كانت أهداف هؤلاء ولم يكن حُب الكُرسي أو المنصب والجاه حاشاهم.

4_صاحب الهِمَّة العالية يحوم حول ثلاثة أشياء

أ_صفات الله عز وجل:فإذا ما قرأ القرآن توقف عند الصفات، وإذا دعا الله سبحانه تركزالأمر على الصفات(الرحيم_الودود_كريم_رءوف) هذه من صفات الجمال فيقف عند هذه الصفات ليستشعر معانيها ولكن من الذكاء أن لا تقف همته عند صفات الرحمة والكرم والرأفة والإحسان لأن الوقوف عندها يجعل الإنسان يطمع فيغرق في بحر الشهوات مُتكِلًا على الرحمة والعفو والحلم،هنا تتوقف النفس عالية الهمة وتمنع صاحبها من هذا الطمع..

وتقول إن الله سبحانه عفو ورحيم وكريم ولكنه أيضًا ذو بطشٍ شديد، عزيز ذو انتقام،فيكون الوقوف مع الصفات بتوازن ما بين صفات الرحمة والود والجمال والعطاء والكرم والإحسان وبين صفات القوة والجبروت والبطش.

صاحب الهمة العالية يحوم حول هذه الصفات حتى يُفتش في حال نفسه وينظر أين هو من هذه الصفات؟

وكيف سيُعامله الله إذا مات اليوم؟

ب_ عالي الهمة دائمًا ينظر للمِنَّة

من صفات الكُرماء وأصحاب مكارم الأخلاق ومعاليها دوام النظر إلى المِنَّة سواء كانت هذه المنة من الناس أوالمنة من الله وهي أعظم،فيظل صاحب الخلق العالي ممتنًا للشخص الذي قدم إليه معروفًا أو جميلًا ولو مرت سنوات على هذا الأمر،صاحب الخلق العالي لا يمكن أن يُنكر الجميل كما أنه لا يغضب أبدًا من مُقدِم المعروف أو الفضل إليه فهو يحمل جميله.

هذا الإنسان إذا وُجِد فإنه يكون عالي الهمة جدًا(هذا الصنف رائع ولكنه نادر الوجود جدًا)فلماذا؟

لأن مَن ظَلَّ سنوات يحمل الجميل لشخص أسدى إليه معروفًا أيًا كان هذا المعروف فكيف يكون حاله مع الله سبحانه ؟

الله سبحانه ولي النعم وصاحب الفضل ومُنَزِلْ الخيرات ظاهرة وباطنة

قال تعالى:{وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (18)} [النحل]

هذا الصنف تكون همته مع الله أعلى فتحوم حول المنَّة فيشكر فيزداد

قال تعالى:{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (7)}[إبراهيم]

عندما يظل الشخص في حالة من مشاهدة النعم بهذه الطريقة فإنه يظل حامدًا شاكرًا ذاكرًا لله عز وجل في جميع أحواله، والعاقل هو مَن يرى نعم

الله عليه في كل نفس يتنفسه، لأنه من الممكن أن يخرج النفس ولا يدخل غيره، فدخول نفس آخر يعني أن في العُمر بقية، وهذا يأذن بإمكانية الاستغفار والتوبة والعودة إلى الرب سبحانه وتلك نعمة ومنَّة.

إذن فإن عالي الهمة يحوم حول المِنَّة كي يزداد شُكرًا لله فيرتقي في درجات الكمال ويعلو.

ج_عالي الهمة دائمًا يتذكر ذنوبه

فيتذكر ذنوبه ويتوب منها ويخشى أن لا تكون قد غُفِرَت له،وتلك الخشية لا تكون مُستمرة ولكن يجب أن تكون من وقت لآخر،فحين يشعر الشخص أن القلب في حالة من السكون والاطمئنان إلى ما هو فيه من أعمال وأنه أعلى منزلةً من غيره فتهبط همته..

في هذه الحالة ينبغي أن يتذكر العبد ذنوبه ومعاصيه الماضية والتي هو فيها الآن، وسواء أكان يعرفها أم لم يعرفها، فالكل يُذنب ولا ينكر أحد ذلك

من صور علو الهمة في العبادة (مع السلف الصالح)

فلو أننا نظرنا إلى أحوال السلف الصالح وتدبرهم لحقيقة الدنيا واستوحاشهم منها فإننا نجد عجب العُجاب.

◘قال حبيب بن الشهيد:قيل لنافع:ما كان يصنع ابن عمر في منزله؟ قال: لا تطيقونه:الوضوء لكل صلاة،والمصحف فيما بينهما (سير أعلام النبلاء)

كان نافع مولى ابن عمر بن الخطاب فسأله الناس عن حال ابن عمر فقال:

لن تستطيعوا، فهو يتوضأ لكل صلاة وفيما بين الصلوات لا يترك المصحف.

◘قال حماد بن سلمة: ما أتينا سليمان التيمي في ساعة يُطاع الله فيها إلا وجدناه مطيعًا، إن كان في ساعة صلاة وجدناه مصليًا،وإن لم تكن ساعة صلاة وجدناه إما متوضئًا،أو عائدًا مريضًا،أو مشيعًا لجنازة،أو قاعدًا في المسجد،وكنَّا نرى أنه لا يُحسن يعصي الله،ولم تمر ساعة قط عليه إلا تصدق بشيء، فإن لم يكن شيء،صلى ركعتين.

حماد بن سلمة هو من أكابر السلف ومع ذلك يتكلم عن سليمان التيمي وهو مُنبهر بصنيعه،فكل أبواب الخير هو واقفًا عليها،وكان يصعب عليه أن يعصي الله وكذلك كان حال السلف تصعُب عليهم المعصية.

صعُبت عليهم المعصية لأنهم وهبوا حياتهم كلها لله عز وجل فلم يبقى وقت للمعصية أو سفاسف الأمور.

◘أما حالهم مع طلب العلم

ونحن نعلم أن العلم هو من معالي الأموروأرفع المقاصد وأغلاها،و أشرف الغايات وإليه يتسابق أصحاب الهمم العالية(طلب العلم)ولكن طريقه وَعِر المسلك،محفوف بالمكاره،ولقد أمر الله نبيه أن يدعوه ليزيده علمًا قال تعالى:{ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (114)}[طه]

يقول ابن القيم : العلم والعمل توأمان أمهما علو الهمة، والجهل والبطالة توأمان أمهما إيثار الكسل.

وهذا يعني أن علو الهمة لابد أن يتولد عنه علم وعمل، وعلم بلا عمل(مصيبة لأن أول من تُسعر به النار)

والجهل والبطالة أيضًا توأمان: فدائمًا نجد أن الجاهل لا يعمل وأمهما إيثار الكسل، فيصل انحطاط الهمة إلى عدم القدرة على قراءة درس علم مكتوب وفي مُتناول الأيدي.

◘ابن عباس حبر الأمة وتُرجمان القرآن

عندما تُوفي النبي ﷺ كان في سن صغير ولكن أصابته دعوة النبي ﷺ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:كُنْتُ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ، فَوَضَعْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَضُوءًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ وَضَعَ هَذَا؟» فَقَالَتْ مَيْمُونَةُ: وَضَعَهُ عَبْدُ اللهِ، فَقَالَ: «اللهُمَّ عَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ، وَفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»

المعجم الكبير للطبراني(10587)

عن ابن عباس قال لما توفي رسول الله ﷺقلت لرجل من الأنصار:

((يافلان هلم فلنسأل أصحاب النبيﷺفإنهم اليوم كثيرفقال: واعجباً لك ياابن عباس أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبيﷺمن ترى؟فتركت ذلك وأقبلت على المسألة فإن كان ليبلغني

الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل،فأتوسد ردائي على بابه فتسفي الريح على وجهي التراب،فيخرج فيراني فيقول:يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ ألا أرسلت إلي فآتيك؟! فأقول: أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث قال:فبقى الرجل حتى رآني وقد اجتمع الناس علي فقال: كان هذا الفتى أعقل مني))

رواه الدارمي(570)، الطبراني(10614)

◘يقول سعيد بن المُسيب: كنت أسير الأيام والليالي في طلب الحديث .

علو الهمة في الدعوة إلى الله

فالداعي يهتم ويتعب ويبذل الجهد ويستفرغ الوقت ويُقدم أقصى ما عنده كي تصل رسالة الله إلى خلق الله،ولقد كان في مقدمة هؤلاء الدُعاة النبي العظيم ﷺ فهو أعلى مَن بذل الجهد واستفرغ الوقت وتحمل المشاق في إبلاغ دعوة الله سبحانه وتعالى للخلق.

◘يقول أبو عبد الرحمن العمري: إن من غفلتك عن نفسك إعراضك عن الله، بأن ترى ما يُسخطه فتجاوزه،لا تأمر فيه،ولا تنهى،خوفًا ممن لا يملك لك ضرًا ولا نفعًا .

_فمن غفلة الإنسان: رؤيته لأمور تستوجب سخط الله عز وجل ولكنه يغض الطرف عنها فلا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر(وهذا يُعد من

قبيل دنو الهمة) لأن صاحبه سكت عن ما يراه من ذنوب ومعاصي تُرتكب أمامه وبالرغم من ذلك يسكت خوفًا من أن ينتقده أحد أو يتهمه بأنه متشدد،فأصبحت همته هي نفسه فقد خاف عليها من الإهانة أو الانتقاد،ولو كان عنده علو همة لما التفت لهذه الأمور من انتقاد أو إهانة أو غير ذلك فالمهم أن يصدع بالحق ولا يخشى في الله لومة لائم.

◘نوح عليه السلام وعلو الهمة في الدعوة

قال تعالى:{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (14)}[العنكبوت]

قال سبحانه:{ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (5) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (6) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (7) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (8) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (9)}[نوح]

◘الشاهد:أنه ظل يدعو قومه ألف سنة إلا قليلًا ..

_ليلًا ونهارًا : أي أنه لم يفتر عن الدعوة في جميع الأوقات

ثم كان منهم،أن جعلوا أصابعهم في آذانهم:إهانة نفسية لو صدرت مع أي داعي آخر لانتهى الأمروتركهم ليلقوا مصيرهم ولكنه استمر في دعوته بكل صور الدعوة ،وهذا وإن دل فإنه يدل على علو الهمة الشديد.

_النبي الخاتم ومُعاناته مع قومه

قال سبحانه:

{فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (6)} [الكهف]

_ باخع : أي قاتل نفسك

◘والمعنى: هل ستقتل نفسك لأنهم لم يؤمنوا، لا تأسف عليهم ولا تحزن ولا تتحسر عليهم فقد عملت أقصى ما عندك ولكنهم معرضين،ثم قال سبحانه:{ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (8)}[فاطر]

فمع كل هذا العناد من هؤلاء إلا أنه ﷺ لم يفتر ولم يتوقف عن دعوتهم

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} [الشعراء: 214]، صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺعَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ» - لِبُطُونِ قُرَيْشٍ - حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ:

«أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَاعَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ اليَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ} [المسد: 2]أخرجه البخاري(4770)

لقد جاء الرد العنيف من عمه وكان مؤلمًا جدًا لنفس النبي ﷺ، ولكن تحمل النبي ﷺ هذا وغيره على مدار ثلاثة وعشرون عاما لم يتوقف يومًا ولم يتوان ولم يرى الراحة يومًا فبذل أقصى جهده في سبيل الدعوة.

وكان عنوانًا لعلو الهمة وقدوة للداعي الذي ضحى من أجل نشر كلمة التوحيد

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك